أحمد زكي أبو شادي

قطوف من النثر والنظم

obeikandl.com

كتاب المنثور والمنظوم

من الجزء الأول والثاني لكتاب

﴿ قطرة من يراع في الأدب والاجتماع ﴾

١٣٢٣ — ١٣٢٧ هـ

obeikandl.com

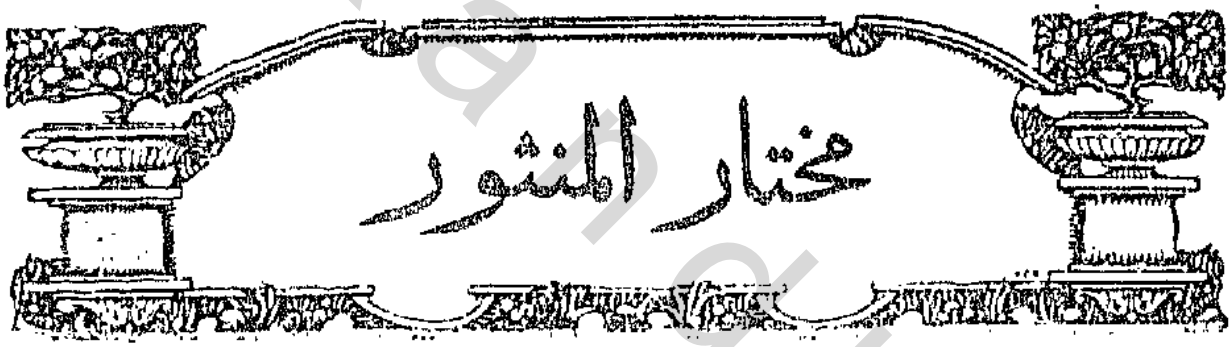

obeikandl.com

قانون الطبيعة

قانونُ الطبيعة قانونٌ نافذ لا يهاب سطوة الأمير ولا يترك الضعيف لضعفه ، وهو عبارة عن عدّة نتائج لأسباب كثيرة تقع تحت حسّنا ، وكلما تشابهت تلك النتائج كانت أسبابها متماثلة ، وليس ذلك بمدوّن في كتب خاصة به وإن كانت الكتب السماوية قد جمعت موادّه ، وشرح شيئاً منها الفلاسفة والحكماء بقدر استطاعتهم ، وانما يرجع المستفسرُ عنه الى صدور كثرت خبرةُ أصحابها بالحوادث التي تمرُّ بهم ، ففيها يجد الانسان الحقائق الكثيرة ومنها يعرف تلك الأسرار الخفية الغامضة على الجاهلين .

هؤلاء الشيوخ الذين يوافون هذا العالم دائماً بنصائحهم الذهبية التي لا يلتفت اليها الا القوم العاقلون يبسطون للملأ قضيةً لا نزاع فيها ، ويقولون إن هذه القضية ولو أنها بسيطة يسهل على ذوي العقول الصغيرة فهمها ، إلا أنها من أهم الأمور وأكبر القضايا التي يترتب عليها نهوض البشر وثبات الأشياء لأمدٍ طويل ويقولون كذلك إنها مع صدق ما تتضمنه وإقرار النفوس به فكثيراً ما تُهمل ولا يُحفل بها !

تلك النظرية القوية البرهان لا تتعدى معنى الجملة الآتية :

« تأكد أن الأساس ثابت قبل أن تهمَّ بالبناء » . واني اذا ذكرتُ للقارىء — وأنا أخصُّ بالذكر غالباً هذا البلد — أن في كل مائة نفر من الناس تسعين أو أكثر ينبذونها فلا أكون مبالغاً ، وإلا فأي معنى لتلاشي الأعمال وتهدُّمها اذا كانت مشيدة على دعائم قوية ، تضمن لها النجاح ، وتحافظ على بقائها ؟

مسرح الحياة

قال وليم شكسبير : إنما العالمُ مسرحٌ والناسُ من رجال ونساء ليسوا سوى ممثلين يظهر كلٌّ عليه ويختفي . والمرءُ في حياته يمثل سبعة أدوار : فالدور الأول وهو زمن الطفولة إذ يكون رضيعاً يصرخ ويقيءُ بين ذراعيْ مرضعه . والثاني حين يصبح تلميذاً يحمل قطره ووجهه يفيض بشراً وسناءً في الصباح ، يقفز كطير البجع ويتظلم من الذهاب الى المدرسة . والثالث دورُ الحبّ وهو الزمنُ الذي يكون فيه عاشقاً يتنهد تنهدات حارة تحكي « زفرات الأفران » وهو ينشد أغانيَ مطربة يخاطب بها لحاظ مالكة فؤاده . والدور الرابع وهو دور الشجاعة والاقدام حين يكون جندياً يغلظ في أيمانه ولحيتُه تشبه لحيةَ النمر ، يغار على الشرف ويقتحم الغاراتِ بخفة باحثاً عما يجديه فخاراً ولو في فوهات المدافع — هذا الفخار الذي أراه كحباب الماء لا يدوم ولا يلبث . والخامس وهو الدور الذي يجلس فيه على سرير الأحكام ويقضي بين الناس وبطنُه ممتلئٌ مستديرٌ وبصرُه حادٌّ ولحيتُه مقصوصةٌ قصّاً مخصوصاً ، عقله راجح وفكره ملمٌّ بكثير من الحوادث واعٍ لما صدر فيها من الأحكام . والسادس يبدأ باكتساء الأردية الرفيعة القماش الواسعة الحجم ووضعه المنظارَ أمام عينيه وتعليقه كيساً بجانبه ، وقد غدت جواربُه التي كان يلبسها وقت الصغر غيرَ ملائمة لرجليه « لكبر حجمها » وصوتُه ضئيلاً متعلثماً يحاكي صوتَ الأطفال .

أما المنظرُ الأخيرُ الذى ينتهى به هذا التاريخُ المحزنُ الغريبُ فهو الطفولة الثانية « يعنى الشيخوخة » والخبل المتناهى يشبهه فقدُ الاسنان والبصر والذوق بل وتضعضع جميع الجسد .

ماهية الشعر والأدب والفلسفة

إذا آمنّا بأن العالَمَ بأسره أنشودة حية متألقة من الأجرام المتحركة فى نظامها الموسيقىّ البديع ، فليس من الصعب علينا أن نؤمن بأن الشعر هو المعبّر بلغتنا عن هذه الانشودة العلوية والموسيقى السحرية . فمهمة الشعر هى الترجمة عن روح الوجود فى أسلوب فنى جذاب يشعرنا بعظمة هذا الوجود وجماله . وليس معنى ذلك أن يحصر الشاعرُ عنايته فى الكليات ويترك الجزئيات ، فكلُّ ما فى الكون مادة للشاعر ما دامت لديه الشاعرية المتفاعلة مع ما يراه ، وإن لم أرد بهذا أن كل شاعر لديه هذا الاستعداد . ولكن يكفى الشاعر أن يكون متأثراً مخلصاً فى ما ينظمه فالاخلاصُ من أهم عناصر الشعر بل الأدب عامة .

وكما أننا نستمتع غاية الاستمتاع بالصور الفنية الجميلة فضلاً عن الجمال الحىّ ذاته وكما تطربنا الموسيقى الرائعة وتشجينا ، وكما تشوقنا الآثار الفنية الدقيقة ، يسحرنا الشعرُ العبقرىُّ ، لأننا نهتدى بواسطته الى أسرار الكائنات ومظاهر الحياة ، كما نحاول أن نراها أو نرى بعضَ صُورها فى الآثار الفنية الصامتة كالصور ، أو فى الآثار

الرمزية كالموسيقى ، أو فى تعابير الجمال المختلفة فى الحرف والفنون من نتائج احساسنا الواضح أو المبهم بجمال العالم ونظامه البديع .

ونحن نحسّ بهذا الجمال العالمى اذا ما كان الشاعر عالىّ الروح ولو تناول الأشياء المألوفة . فهذا المتنبى مثلاً يصف لنا شأنه مع جواده ويصف جواده فى هذا الشعر الرائع :

ويوم كلون المدنفين كمنته ... أراقبُ فيه الشمسَ أيّان تغربُ
وعينى الى أذنىْ أغرّ كأنه ... من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ
له فضلةٌ من جسمه فى إهابه ... تجىء على صدر رحيب وتذهبُ
شققتُ به الظلماءَ أدنى عنانَهُ ... فيطغى ، وأرخيه مراراً فيلعبُ
وأصرعُ أىّ الوحش قفّيته به ... وأنزلُ عنه مثله حين أركبُ
وما الخيلُ إلاّ كالصديق قليلةٌ ... وإن كثرتْ فى عين مَنْ لا يجرّبُ
إذا لم تشاهدْ غيرَ حُسن شياتها ... وأعضائها فالحسنُ عنكَ مغيّبُ

ولن يقول مثلَ هذا الشعر الاّ الشاعرُ المتعمقُ الذى لا يقنع بالمظاهر وحدها بل يتغلغل بروح متصوّفة الى ما خلفها ولو وصف أحقرَ الاشياء . والمتنبى هنا يندمج فى تقصية جواده حينما يصفه هذا الوصف المدهش ويجعلك تشعر أنك فى حضرة نبى للشعر نافذ ببصيرته الى كل شىء ، ومَن كان هذا أمره كان الترجمان الصادق للحياة وكان المفسّر النابه للوجود .

وإذا تمعنا فى قول أبى العلاء المعرى فى لزومياته :

يا شُهْبُ ! انكِ فى السماء قديمةٌ وأشرتِ للحكماء كلَّ مُشارِ
أخبرتِ عن موتٍ يكون منجّماً أفتخبرين بحادث الانهارِ ؟
مَنْ للمُعلّك تُبّعٍ أو قيصرٍ لو كان مثل مليكك المتغارِ ؟
والدّهرُ مفتنُّ الفواتلِ مُهلِكٌ ربَّ الحُسامِ وحاملَ المئشارِ !

الى آخر هذه القصيدة المشبعة بالتأمل الفلسفى — اذا تمثّلنا فيها شعرنا برجاحة فوق رجاحتنا الانسانية وتنبهنا الى غرور الحياة .

كذلك حالُ شعورنا حينما نقرأ فى « الفردوس المفقود » لملتون أو نتذوّق أنشودة شيللى « الى الجمال الذكىّ » أو « الوقت والحب » لشكسبير أو « أنشودة الراعى الى حبيبته » لكريستوفر مارلو وأمثالها من روائع الشعر العالمى على اختلاف موضوعاته ، فانه شعورٌ لا يُقاس بالمتعة الأدبية بل كذلك وقبل ذلك يبلغ تسامينا أو تعمقنا فى الشعور .

ولا مشاحّة فى أن للشعر ضروباً شتى وأشهرُها الشعرُ الغنائى بفروعه المختلفة ، ولكنه فى الواقع موسيقى كلامية قبل أن يكون تصوّفاً وتعبيراً وجدانياً منظوماً . والموسيقى عنصر ضرورى فى معظم الشعر ولكن لا شأن لها بماهية الشعر ، بل قد تفسد ماهيته التى هى أعظم بكثير من الاطراب والتسلية بأنغام رتيبة . وصفوةُ القول أنّ ماهية الشعر التعبير عن الحياة وتفسير الوجود تفسيراً تصوّفياً فى لغة موسيقية أو شبيهة بالموسيقية .

أمّا عن الأدب عامةً فماهيتهُ التعبيرُ عن شخصياتنا وعن الحياة والمجتمع كذلك

تصيرَ الأصالة لا التقليد ، وبذلك يشترك الأديبُ مع بقية الفنّانين في تفسير الوجود وتقديس الحقّ والجمال ، وعن الأديب يتفرّع الشاعرُ وإنْ استقلّ الشاعرُ فيما بعد بفنه الخاص في مظهره وروحه المتّسعة ، فليس كل أديب شاعراً ولكن كل شاعر أديب.

يقول الأديبُ الفرنسيُّ « إنّ الفنّ هو الحياة كما يراها مزاجُ الفنّان » وهو مرآته التي تنعكس عليها الكائنات ، فالمزاجُ أو الشخصيةُ هو أساسُ التعبير الأدبي ، وهذا ما يوجد التباينَ الذي يزيد من ثروة الأدب ، إذ يصبح الأدبُ مرآةً شتى للحياة ممثلاً شخصيات عديدة ووجهات نظر متنوّعة خلافاً للعلم الذي له قواعد معينة محدودة . وهكذا تعيش المؤلفات الأدبية والآراء الأدبية تبعاً لما خلقها من شخصيات قوية ، سواءٌ أكانت هذه الآثار قصة أم شعراً أم رواية تمثيلية أم دراسة أدبية أم غير ذلك .

وليس من موجب للاشارة الى الأدب بصفة عامة بعد الاشارة الى الشعر خاصة سوى الرغبة في التوكيد بأن الشاعرَ الحيَّ القويَّ يستطيع أن يستوعب في شعره جميعَ فنون الأدب ما دامت عنده القابلية لذلك ، ولا أعني بالشاعر الحيّ القوي فرداً بالذات بل مجموع الطاقة الشعرية العالمية (ما دامت أذواقُ الشعراء تختلف) فاذا جمعنا من هومر وشكسبير وملتون ودانتي وجيته وكولردج وبيرون وشيللي وكيتس وهيني وشيللر وهوجو ولامارتين ودي موسيه والفردومي وتنيسون وابن الرومي وبشّار والشريف الرضيّ وأضرابهم الطاقةَ الشعريةَ الانسانيةَ العامةَ استطعنا أن نقول في غير مبالغة إنّ ميادين الشعر لا حدود لها وان الشعر قادرٌ كل

القدرة على أن يُفيض على جميع ميادين الأدب متى وُجِدَت المناسبات القوية والملاءمة القوية مع الشاعر .

وأمَّا الفلسفةُ فغايتها معرفةُ قوانين الحياة وعلل كل شيء ، ولذلك اختلف تعريفُها وتطبيقُها في شتى العصور ، أي منذ عدَّها فيثاغورس الرغبة الخالصة في المعرفة ، الى زمننا هذا حيث أصبحت الفلسفةُ رسولَ التوفيق بين شتى العلوم مع خُلاصة الفكر الانساني والذاتية الانسانية ، وهكذا أخذت الفلسفة تشمل علوماً كثيرة في أبحاثها وانتهت إلى سهيم الانسان . ولمَّا كان من أظهر خصائص الشعر العالي أن لا يفرِّق ما بين العاطفة والفكر في استيعابه فلا عجب إذا وجدنا شأن الفلسفة مع هذا الشعر شأن الأدب العام ، حتى ذهب برونتج الى القول بأن الفلسفة تأتي قبل الشعر الذي يعدّه أسمى خلاصةٍ لها . ونلمح مثل هذا الرأي حتى مِنْ وردزورث شاعر الطبيعة المشهور وقد أجمع أكبرُ النقَّاد على أن الغاية الفلسفية العظمى هي حِليةُ أسمى الأدب وأسمى الشعر .

حياة اللغـــة

بماذا تحيا اللغة العربية بل أيةُ لغةٍ ؟ هذا هو السؤال المعقول الذي يجب أن يوجِّهه كلُّ غيورٍ على لغة الضاد الى نفسه والى زملائه الحريصين على حياتها حياةً كريمةً ، ثم يتعاون على تحقيق الجواب الطبيعي على سؤاله .

إن حياة اللغة تترتب بلا جدال على انتشار استعمالها كما تترتب على ثروتها المتنوعة التي تضمن لها الكرامة وزيادة الانتشار والنفوذ . فاللغة الهيروغليفية مثلاً لغة ميتة لأنها الآن غير مستعملة ولأن ثروتها محدودة ومقصورة على جانب من التاريخ بعد أن اندثر حياتها فانقطعت عن مجاراة الحضارة والثقافة . واللغة الانجليزية لغة حية في وقتنا الحاضر لأنها لسان من ألسنة الحضارة الحديثة ولأنها واسعة الثقافة المتنوعة وقد رعتها السياسة والعلاقات الاقتصادية والأممية في الامبراطورية الانجليزية وفي البلاد الموالية للتاج البريطاني وفي الولايات المتحدة فأصبحت لغة عالمية .

واذا نظرنا الى لغتنا العربية لغة القرآن الكريم فهي لغة مقدسة في نظر الملايين من المسلمين ، ولها تبعاً لذلك كرامة بل قداسة مضمونة البقاء مادام علم الاسلام مرفوعاً . ولكنها بالرغم من ذلك لا يمكن أن تصبح لساناً من الألسنة العالمية بالمعنى الصحيح ولا يمكن أن تكون نابضة بالحياة القوية بدل الحياة الطويلة فقط ما لم تتنوع ثروتها بحيث تشمل جميع مرافق الحياة المشتبكة . يجب أن تكون اللغة العربية لغة علم وأدب وفن وفلسفة وسياسة واقتصاد وثقافة شاملة، غير مقصورة على مصالح قطر دون قطر ، وأن يتوفر على التأليف بها أعلام ، وأن تنقل اليها أشهر التصانيف العالمية في كل باب . بهذه الخطة وحدها تجمع اللغة بين الكرامة الصحيحة وبين الحياة القوية المستمرة ، لأن أبناءها لن يشعروا في أي وقت بعجزها وضعفها ولا بفقرها، وانما يحسون دائماً أنها ذات ثروة مزدادة وتاريخ مجيد ومرونة جيدة فيمتزون بها ويتطوعون لنشرها ولا يرتضون عنها بديلاً .

مع إجلالي للغة الانجليزية المتمكنة في مصر ومع حبي لها أرى أنه واجب محتم علينا تنفيذاً لخطتنا في حماية لغتنا الوطنية وضمان حياتها أن نجعلها بغير قيد ولا شرط لغة التعليم في جميع المدارس ، وأن نتوفر على الترجمة اليها دون انقطاع ، فاننا الآن في دور يجب أن تقدم فيه الترجمة على التأليف ما لم يكن التأليف أصيلاً بالمعنى الصحيح وهذا لا ينافي العناية بتدريس اللغة الانجليزية وتمكين الطلاب منها ليتفقهوا بها في زيادة معارفهم من المصنفات الانجليزية .

وبديهي مما تقدم أني أنتصر للغة الفصحى فان قواعدها ومعاجمها وذخائرها تجعلها قابلة للتوحيد في العالم العربي . أقول هذا في صراحة تامة لأني أومن بامكان تهذيب لغة التخاطب تدريجياً حتى تتلاقى واللغة الفصحى — لغة الكتابة — تبعاً لانتشار التعليم وازدياد الصحف والمجلات الشعبية . كذلك أصرح بأني أومن بواجب الحرص على خير تقاليد لغتنا الشريفة ، بشرط أن لا يكون حرصاً غبياً يقف في سبيل الاجتهاد والابداع فلولا الاجتهاد والابداع في العصور الماضية لما بلغت اللغة العربية ما بلغته من عزة سابقة ، وليس الوقوف إلا مرادفاً للفناء .

يجب علينا التبحر في دراسة لساننا المبين ، ثم علينا بعد ذلك أن نكون محسنين اليه بانتاجنا الصالح من ترجمة وتأليف ، واضعين نصب أعيننا أن نزكي باستمرار عن معارفنا وأن نحسن استعمال أدواتنا اللغوية التي أتقنا ها في خدمة الثقافة العامة. يجب على الأهالي وعلى الحكومة معاً التساند في وضع المعاجم الحديثة الكبرى ودوائر المعارف المنوعة وتنظيم الترجمة الشاملة الى اللغة العربية حتى يحمد لنا الجيل

التالي هذا الصنيعَ الجبارَ ، وحتى يتابعهُ هو بهمةٍ أجلّ وأسدّ ، وهكذا تنتقل هذه الرسالةُ الثقافيةُ العظيمةُ من جيلٍ الى جيلٍ ، وتمتدّ شعلتها الى الأقطار العربية الأخرى ، وبذلك نمهد للغة العربية مستقبلاً نيراً باهراً .

أمّا واجبُ المثقفين من أبناء الضاد الكاتبين نثراً أم نظماً فواضحٌ صريحٌ ، الا وهو الانتاجُ في جرأة وحسن اختيار متطلعين الى الغرب الذي سبقنا بمراحل تطلعَ الغيور على قوميته ولغته . انّ الانجليز يفرحون ويهتزّون بكل ما يُنقل الى لغتهم من تراث العرب والصينيين واليابانيين وشتى الامم الأخرى لانهم يعتبرون هذا النقل بمثابة دليل جديد على عالميّتها . فيجب على مثقّفينا أن لا يصغوا الى فقهائنا الجامدين الذين يأبون أن يشحذوا أذهانهم ، وكلُّ حظهم أن يعيشوا على إحسان الأموات ! والاّ فبأيّ منطق يستصغرون ترجمة آثار شكسبير بينما الانجليز لا يستصغرون ترجمةَ الشعر العربي القديم ورباعيات الخيام ونحوها ، بل يعدّونها متى تُرجمتْ الى لغتهم جزءاً من آدابهم ؟!

إننا أحوجُ الأمم الى نقل الآداب والعلوم الانجليزية والامريكية والالمانية والفرنسية والايطالية بصفة خاصة الى لغتنا ، فاين العاملون ؟ وهل يضيرهم ما يقوله الجامدون من أنهم يسيئون الى الأدب العربي بهذه المترجمات لأن الذوق العربي لا يتحمّس لها ؟ ! أليس مما يزيد ثروة لغتنا أن ننقل اليها أرقى الأساليب الغربية في البيان نقلاً أميناً كما يفعل الغربيون مثل ذلك ازاء الآداب الشرقية ؟ وكيف تتسع آفاقنا في التعبير والتفكير إذا لم نتطلع الى آفاق غيرنا ممن سبقونا في الحضارة والثقافة؟

هذه ملاحظاتى الرئيسيّة لكتّابنا وشعرائنا على السواء . يجب أن نكون بَررةً بروح العصر الذى نعيش فيه ، مبرهنين على أن لغتنا العظيمة قابلةٌ لاستيعاب جميع ثقافته وقادرةٌ على ذلك ، وبذلك نضمن لها الحياةَ الشاملةَ التى تستأهلها ونصون كرامتَها وكرامتَنا .

حديث الفن

ليس حديثُ القطن ولا حديثُ الشركات المالية ولا ذكرى الحرب اليابانية الروسية ولا مشاكل البلقان ولا أمثال هذه الأمور بما يُعدّ بمثابةِ ثورةٍ أو حدثٍ خطيرٍ فى عرفِ الفنّ ، وانما الثورةُ والحدثُ الخطيرُ أمورٌ أخرى : فنحن نسمع أو على الأصحّ نقرأ فى الصحف الانجليزية عن أغانى (مدام بترفلاى) منذ سنة ١٩٠٥ ونقرأ عن نبوغ الممثلين الهزليين والموسيقيين فى انجلترا حيث توجد صالات الموسيقى الباهرة ، ونقرأ عن ابتداع جورج إدواردز للرواية الموسيقية الهزلية وعن نجاح اختراعه هذا بين الانجليز الى حد بعيد حتى أن روايته (فيرونيك) مُثّلتْ أربعمائة وتسعين مرة متوالية ، ونقرأ عن رواج مثل أغنية The Gibson Girl رواجاً مدهشاً . ومثل هذه الحوادث هى التى تَعنى الفنّ لا المشاكل السياسية وغير السياسية وإن أثرتْ على الفنّ أحياناً من طريق غير مباشر فى التصوير الهزلى مثلاً كما حدث بالنسبة للمطالبات بحقّ الانتخاب حينما ظهرن فى انجلترا منذ سنوات قليلة مضتْ .

ويجب أن يعنينا فى مصر أمرُ هذا التمثيل الغنائى المسرح ، فنحنُ شعبٌ يحبُّ الموسيقى والغناء كما تشهد بذلك (دارُ التمثيل العربى) وغيرها وتقديسنا صوت الشيخ سلامة حجازى ، حتى أننا أبينا إلاّ أن نحوّل روايات شكسبير الى شبه غنائيات ! فعجبا لو استُغِلّ افتتانُنا هذا بالتمثيل الغنائى لادخال هذا النوع فى بلادنا ولو بتصدير هذه الموسيقى الأوروبية البديعة ، وإن لم تُتح لى فرصةُ سماعها كاملةً بل كلّ ما سمعتُه منها مختارات فى بعض الحفلات الأوروبية الكبرى بالقاهرة كانت قويةَ التأثير فى نفسى ، وعزّز إيمانى بها ما سمعته من بعض الوجهاء المثقفين الذين زاروا انجلترا أخيراً واستمتعوا خيرَ استمتاع بهذا اللون من التمثيل الجميل . وقد نتدرّج من ذلك الى خلق الأوبرات العربية ، على غرار رواية (عايدة) بشرط أن تكون شعراً خالصاً ، وهذا غيرُ عزيز على همة شعرائنا الأعلام وأخصّ بالذكر أساتذتنا الأجلاّء مطران وشوقى وحافظ . هذا هو بعضُ حديث الفنّ ، فهل يضيع هذا الحديث فى مصر ؟

طبقة الشعراء

لابد أن يكون الشاعرُ كثيرَ الانفعال يقيقظ لأقلّ شىء ويدقق فى معظم الشؤون ، ومثل هذا الرجل هو الذى تخرج كلمتُه من القلب فتقع فى القلب ، ويستطيع أن يؤثر بما يقرضُه على أية نفس كانت تفهم وتعى ، وليس هناك ما يحدث اليقظة النفسية غير

كثرة (التأمل) ، فهو الذى ينتقل بصاحبه الى ما فوق السماكين ! هنالك يقدر أن يشرف على هذا الكون فيمثله أحسنَ تمثيل ، ويصوره أجملَ تصوير .

ولكن ما ذا يدفع النفوس البشرية الى دقة النظر والفحص ؟ أليس ما يحيط بها من الضيق الشديد والأزمات القوية التى تدفعها الى البحث عن طرق ملافاتها ؟ لذلك كان من البديهى المعقول أن الطبقة التى يخرج منها معظمُ الشعراء هى الطبقة الوسطى أو التى أقلّ منها مرتبة بلا نزاع ، والدليل أن الرجل اذا شبّ منها فانه يتربى أحسنَ تربيةٍ للعناية التى يصرفها والداه أولاً وهى طبيعةُ هذا النوع من الأفراد ، ولما تقع عليه عيناه من الحوادث الجمة التى يستفيد منها بخبرته أفضلَ النصائح المثالية والعبر فيقدر على وصفها ويكون دائماً قوة عاملة مفكرة تنأى عن الشرّ ، ولا تنظر إلا عيون الطبيعة فتتناجيان وتتحببان وتعطفان على بعضهما ، وحسبك أن تعلم أن أبا تمام الشاعر المشهور كان فقيراً يستقى بالجرة فى جامع عمر وما زال يأخذ بأسباب العلم حتى وصل الى ما وصل اليه ، وان فكتور هوجو شاعر الفرنسيس وحكيمهم الكبير لم يكن من أهل الرياش والسعة بل زد على ذلك أنه كان عصامياً وصل الى درجة رفعته باجتهاده وفطنته ، وما يمنع الغنى العظيم عن الوصول الى منزلة الشاعر الا عنايته بلذته الجسمية أكثر من عنايته بلذته النفسية وانخداعه بالظواهر الكاذبة وفساد تربيته فى الغالب ، ولو تناول الشعرَ فاما أن يكون واحداً من اثنين : رجل شذّ عن ذاك القياس لشهامة نفسه وعلوّ آدابه وحسن خلقه فيزيد الشعرَ جلالاً على جلالٍ ، أو معجبٌ للأدب يقول ما يقول طمعاً فى البلاغة وهو فى الغالب لا يؤثر

نفسه الا بما صدر حقيقة عن انفعال، والشعرُ ماثلٌ في كل نفس ومطبوع في كل قلب بشري غير أن صاحبه عاجز عن بيانه ووصفه في التركيب اللائق به وتأديته نطقاً، ولقد ترى في كثير من العبارات ولو كانت من أفواه العامة خواطر ومعاني شعرية مبعثُها الطبع ورائدها السليقةُ، ولا يكون المرء ذا قوة فكرية تستنبط التشبيهات الغريبة ما لم يكن متجرّداً من ذلك الثوب الكثيف: ثوب المادة، ولا ينزعه عنه الا أدبٌ يفيد وعلمٌ ينفع، ونظرة صادقة الى الوجود يميز بها بين الباطل والحق، ويفتح باب فكره المغلق فيقف على مناهج الفضيلة التي يحثُّ على اتّباعها ويدري بمهبط الرذيلة فينبه الوجدان الى عواقبها السيئة.

رعاية الشعراء

تحتقر الآن فكرة التكسّب بالشعر عن طريق المدائح الصناعية للملوك والولاة والأغنياء، ولا نقبل من شعر المديح إلا ما تمليه العاطفةُ والفكرةُ السامية، وقد نعيب حتى على مثل المتنبي اتصاله بسيف الدولة فضلاً عن اتصاله بكافور ثم انقلابه على كافور وهجائه إياه أقبح الهجو. ولكن من الانصاف لشعراء العربية المتقدمين أن نشير الى أنّ زمانهم غيرُ زماننا، وأن معاييرهم الخلقية غيرُ معاييرنا، وأنهم لم يكونوا وحدهم الذين يتلمسون السادة الأنصار لحماية أدبهم وصيانة رزقهم، فالمعروف أن معظمَ الشعراء الانجليز مدينون بانتاجهم الممتاز لمثل ذلك التشجيع والحماية. فهذا

شكسبير نفسه لم ينل أيّ حظوة لدى القصر إلاّ بفضل وساطة إيرل سوثامبتون الذي كان يرعاه وقد أهدى اليه شكسبير فيما بعد ما أهدى من أشعاره في أسلوب نعتبره الآن منتهى الغلوّ في التقدير . وحتى بعد العهد الاليصاباتي بزمن طويل بقيت هذه العادة ملازمة للشعراء والأدباء . مثال ذلك جيمس طومسون (١٧٠٠ — ١٧٤٨ م) الذي نظم (الفصول) فقد كان يواجه المجاعة في مدينة لندن لولا أن أنقذه منها « لورد نبيل » . ولم ينل على قصيدته (الشتاء) — وهي الجزء الأول من كتابه الشعري المومى اليه — ثمناً لحقّ الطبع غير ثلاثة جنيهات وثلاثة شلنات ، ولكن اللورد وذنجتون الذي أهدى اليه الديوان نفحه بواحد وعشرين جنيهاً فحقّق تأميله فيه .

وكم سعى دريدن عبثاً للحصول على رعاية السير تشارلس بكرنج (وكان ابنَ عمّ لأوليفر كرومويل) ، وأخيراً نجح في الحصول على رعاية إيرل بركشير الذي كان له نفوذ عظيم في عالم الأدب ، وبلغ من نجاحه أنه تزوّج من ابنة الايرل أخيراً .

وكان لحسن تقدير السير وليم تِيرنْبُل الأثر الطيب في نفس الشاعر پوب فشجّعه على طبع ديوانه ، وكذلك كان للسيد والش هذا الأثر الطيب في نفس الشاعر وكان السير تِيرنبُل سياسياً ممتازاً ، كما كان السيد والش من أصحاب الأراضي البارزين ، وكان والش يوجّه الى پوب مثل هذا التقدير : « إني لا أعرف أحداً له مثل ما لك من الأهلية لمضارعة ملتون ! وليس من التملق مطلقاً أن أقول إنّ فرجيل لم ينظم شيئاً بمثل هذه الاجادة في سنّه » . ولكنّ هذا التشجيع برغم قيمته لم يكن لينفع الشاعر مثلما كانت تنفعه المعاوناتُ المادية .

وكانت الخطوة الأولى التي خطاها جوزيف أديسون نحو الشهرة والحظوة رعاية اللورد جودولفين له ، على أثر اعجابه بقصيدته عن « معركة بلينهايم » فعرض عليه منصباً حكومياً وأخيراً بلغ أديسون منصب الوزارة !

ولولا مساعدة بيرك السخيّة للشاعر كراب لما كان له مآل غير الانتحار فقد وفد على لندن لا يملك غير ثلاثة جنيهات وحزمة من المخطوطات فلاقى المجاعة وجهاً لوجه ، ولم ينقذ أدبه سوى أريحية بيرك .

فلا عجب بعد كلّ هذا إذا تدفّق أولئك الأدباء النابغون البائسون وأمثالهم بعبارات الثناء المنمّقة بل بعبارات العبودية لمن يدينون لهم بحياتهم وحياة أدبهم . وليس من الانصاف أن نؤاخذهم بل علينا أن نؤاخذ بيئاتهم الجامدة .

كذلك كان شأن أدباء العرب بل شأن نفر غير ضئيل من أدبائنا النابهين أمثال : محمد حافظ ابراهيم ومحمد السباعي ومحمد امام العبد فانّ شكواهم الصارخة من الجمهور شكوى صادقة محقّة ، وليس لنا أن نلومهم أقلّ اللوم بل علينا أن نلوم أنفسنا . وسيأتي يومٌ تقدّر فيه الأمة فضل هؤلاء الأدباء النابهين ولكن أرجو أن لا يكون ذلك بعد زمنهم ، فقد وجد أدباءُ الانجليز مَن ينصفهم ذلك الانصافَ في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر فأحرى بنا أن لا نخذل أدباءنا في القرن العشرين .

التربية الوطنية

ليس أهمّ عناصر التربية الوطنية المصرية أن نعلم حدودَ وطننا وجُمَلَ تاريخه ، وكيف نُحكَمُ الآن ، وما هو مجلس الشورى وما هي الجمعية العمومية ، وما هو نظام الادارة والتعليم والفلاحة في بلادنا ، وما إلى ذلك من المعارف القومية التي تربطنا بالماضي والحاضر والمستقبل ، وانما أهمّها في نظري أن ندرك أن المصريين جميعاً شعبٌ واحدٌ هو الشعب القبطي أي المصري ، فليست كلمة « قبطي » إلا ترجمة كلمة Aegyptus اللاتينية وهي إغريقية أصلاً ، فهي تسمية لطائفة بعينها . وكان النبي ﷺ أول مَنْ دعا المصريين من بين العرب بهذه التسمية في رسالته الشهيرة الى المقوقس . هذه هي الحقيقة الثابتة تاريخياً وعلمياً ، وليس ما ذهبَ اليه البحاثة أحمد زكي بك سكرتير مجلس النظار في خطابه الذي ألقاه في يوم الجمعة ٢٧ مارس سنة ١٩٠٨ بدار التمثيل العربي وقد حوى ما حوى من الخطأ العجيب حيث أشار الى أن كلمة « قبطي » هي نسبةٌ محرّفة الى « قفط » ، وهو خطأٌ واضحٌ يدهشني وقوعه من البك الصديق العلامة ، ولعلّ ما وجّهه اليه الأثري الكبير المسيو ماسبرو من تصحيح صريح قد أقنعه بخطئه .

هذه هي أهمّ نقطة في التربية الوطنية يجهلها المصريون أو معظمهم فنحن جميعاً أقباط ، وأغلبيتنا مسلمةٌ بحكم فتح العرب لمصر (ولم يكن عدد الفاتحين إلاّ آلافاً قليلة) ، والأقليةُ مسيحيةٌ . ولا شكّ في أنّ الجامعة الاسلامية جامعةٌ مقدّسةٌ

لدى الأغلبية ، كما أن مجد العرب وسيرتهم وفتوحاتهم حبيبة إلى نفوسهم ، كذلك شأن المسيحيين المصريين بالنسبة لمجد المسيحية وتراثها وأعلامها . ولكن يبقى بعد كلّ هذا أن مصر يسكنها شعبٌ موحّدٌ فى دمه وعاداته وأخلاقه بالرغم من اختلاف الدين ، وأنه بعنصريه جديرٌ بأن يحرص على الأخوّة الوطنية كلّ الحرص ، وأهلٌ لأن يُغنى كلٌّ من عنصريه بصوالح الآخر وهمومه وآماله وأن يحرص على كرامته وأن يساعدَ فى استثمار مواهبه لخيره ولخير الوطن ، إذ بغير ذلك تنتفى الأخوّةُ الوطنيةُ . والشعبُ الذى يجهل معنى الأخوّة الوطنية مبدأً وتطبيقاً لا يفهم معنى التربية الوطنية ، ولا يُعَدُّ أهلاً لأن يستقلّ بإدارة أموره ولأن يكتسبَ احترامَ العالم المتمدن . وقانا الله مثل هذه العاقبة .

فظائع الحروب

أنشأ السيد كارل شوروز مقالاً بليغاً فى إحدى المجلات الانكليزية تكلم فيه عن واقعة جتسبرج ، وقد رأينا أن ننشر شيئاً مما كتبته فى وصف ما يراه الناظر بميدان القتال فى اليوم الثانى لحدوث إحدى الوقائع ، قال : لا أقبح ولا أبشع من النظر الى جثث القتلى فى ساحة الحرب وقد لبثوا يوماً أو أكثر قبل أن يذوقوا حتفهم عرضةً لأشعة الشمس المحرقة والهواء الحسار ، وقد تنكرت سحنتهم فانتفخت وجوههم واصطبغت بالسواد ، وبرزت أعينهم وصارت ثابتة فى مكانها لا تتحرك ، وتبدّلت

هيئتهم حتى بعدوا عن أن يميّزوا ويعرفوا ، وقد انفرد بعضهم وبقى غيرهم مرتّبين صفوفاً ، ووقع آخرون بعضهم على بعض فكانوا أكواماً . وبدت على آخرين هيئة من يريد الراحة بالصلح وقد رفعت أيدى فريق منهم ، وظهر آخرون فى صورة الجلوس وأخذ نفر يركعون ، وبقى بعضهم ينبش الأرض بأظفاره ، وقد تشوّه كثيرون تشوّهاً منكراً بينما كانت الحرب شديدة الوطيس ، وملك المنون يرفرف فوق الرؤوس .

امتلأت الديارُ وحابسُ الحيوانات والمزارعُ بالآنين ووضعت المناضد فى فضاء الأرض ومكث الجراحون وأكمامهم مرفوعة الى مرافقهم ، وسواعدهم المكشوفة وكذلك قطيلاتهم الكتانية مخضبة بالدماء ، وهم — إلا قليلاً منهم — قابضون على أسلحتهم بأسنانهم بينما يكونون مهتمين بمداواة جريح راقد فوق المنضدة أو على مكان آخر ، أو تكون أيديهم مشتغلة بعمل ما ، وهناك من خلفهم بركُ الدماء وبجانبها أكوامٌ من السواعد والأرجل المقطوعة مما يزيد ارتفاعه فى بعض الاحايين عن قامة الانسان !

الجريحُ راقد على المنضدة وهو غالباً يصيح مما يقاسيه من الألم فيخفُّ اليه الجراح ويفحص بسرعة جرحه ثم يشرع فى بتر العضو الذى يؤذيه ويشير الى الخادم بالاستعداد لاحضار آخر . فيخرج سلاحه من « بين أسنانه » التى كان قابضاً عليه بها حين كانت يداه مشغولتين ، ويمسحه بخفة مرة أو مرتين فى قطيلته [1] الملطخة

---

(١) القطيلة قطعة من كساء ينشف بها الماء وهى الفوطة عند العامة (المنجد)

بالدم ، ثم يبدأ بالبتر . فاذا انتهى من عمله نظر الى خلفه وتنهد تنهداً كثيراً صادراً من أعماق فؤاده ثم نادى : « غيره » ! . . .

ويلفت نظرك أن ترى الجراح — وقد مضى عليه زمنٌ طويلٌ وهو يشتغل — نازعاً سلاحه من يده قائلاً (والدموع الغزيرة تنهمل من عينيه) إنه لم يعمل عمله بثبات فان ما يشاهده تعجز عن رؤيته طاقة البشر ! وترى كثيرين ممن جرحوا من المجاهدين يتحملون آلامهم وهم سكوت بجلد وسكون وجُبنهم متجمدة وأعينهم دامية ثم يصل الى أذنيك صدى أنين من فؤاد كليم ، وأصوات من الألم منكرة تشقُّ الفضاء وصريخُ يائس قانط يقول « أيها الاورد ! » . . . « أيها الاوردا [1] » أو « دعني أموتُ ! » ثم تسمع أصواتاً ضئيلة تردّد وتقول : « أمي . . . ! » أو « أبي . . . ! » أو « وطني . . . ! »

من قلم مصري

أصدرت مطبعة أمّ عبّاس بالقاهرة كتاباً صغيراً بهذا العنوان باللغة الانجليزية للأديب الشاعر علي فؤاد طلبة وهو نجل المغفور له طلبة عصمت باشا من أقطاب الثورة العرابية .

ومؤلفُ هذا الكتاب المدرسيّ من طلبة مدرسة الحقوق الخديوية بمصر ،

---

(١) بمعنى أيها الرب

أخرجه بناءً على اقتراح زملائه الطلبة وقد جمع فيه نُخَباً من كتاباته المدرسية والصحفية على نحو ما فعلتُ في الجزء الأول من (قطرة من يراع) ، ولكنه كان أكثر توفيقاً مني في دقة اختياره ووجازته بينما أني لجأتُ الى التوسُّع ، فجاء كتابه على صغره دسماً بموضوعاته القيِّمة المنوَّعة . ولئن كان الغرضُ الأولُ منها فائدة الطلبة الانشائية فانَّ مزاياها الأدبية أبعدُ من ذلك .

وقد كتب له السيد فوجهان وايلد مقدمة مدرسية بديعة تناول فيها كيفية تعلم اللغات الأجنبية قراءةً وسماعاً وكتابةً . وهذه المقدمةُ بعيدةٌ عن التقاريظ الجوفاء التي اعتدناها حتى في كتب شيوخنا ، وفيها الكثير من الآراء الصائبة والنصائح الغالية ليس أقلها توكيده العناية بدرس الموضوع وتقسيمه وتحديد نقاطه قبل تناول القلم للكتابة ، وبذلك يتيسر ربط الموضوع بعضه ببعض في وحدة جامعة . وهو ينصح الطالبَ حينما يكون في شكٍّ أن لا يستعمل إلا أبسط الألفاظ وأقصرها متجنِّباً الكلمات التي لا لزوم لها ، بحيث إذا كفت كلمةٌ واحدةٌ للتعبير عن المعنى المراد فمن الخطل استعمال كلمتين . كذلك كان من الخطأ تكرار اللفظ أو التعبير على وتيرة واحدة . إنَّ الكتابة في ذاتها فنٌّ والفنُّ موهبةٌ ، وغايةُ ما تؤدِّي اليه القواعدُ الموضوعةُ صقلُه وتهذيبه ، وخيرُ ما يُنصح به الكاتبُ أن يكوِّن في ذهنه فكرةً ناصعةً جليةً عن موضوعه أولاً ثم يعبر بعد ذلك عنها في لغة صحيحة بسيطة تجعل منها وحدةً متماسكةً لا شوائب فيها ولا قشور من التكرار والثرثرة والتعقيد والحذلقة . ولئن لم تكن موضوعات هذا الكتاب نماذج

الكمال الانشائى فانها — كما قال السيد فوجهان وايلد — جيّدة ، وشاهد ماثل على نتائج العناية بالتحصيل الأدبى .

وبعد هذا تعنينا من هذا الكتاب الاعتبارات الآتية : (١) براعة المؤلف فى اللغة الانجليزية التى تعلمها فى مسقط رأسه مدينة كولمبو بجزيرة سيلان تعلماً فطرياً ثم مدرسياً ، فتفوّق بذلك على زملائه المصريين تفوّقاً ظاهراً ، (٢) لباقته ورجاحته فى اختيار نقط موضوعاته ، وهذا بلا شك من آثار تربيته الانجليزية أثناء اقامته الطويلة فى سيلان ، ولا ضير علينا من الوجهة الوطنية فى الاعتراف بهذه الحقيقة ، (٣) نضوج ذوقه الأدبى عن أذواق كثيرين من زملائه المصريين الذين لم تُتَح لهم مثل ظروفه ، ويكفى المقارنة بين كتابه وبين كتب الانشاء العربية السقيمة التى يُرهَق بها الطلبة أيّما إرهاق ، (٤) حنينه الى مسقط رأسه فى قصيدة وداعه له حينما ارتحل عنه الى مصر فى سنة ١٨٩٧ م . وشعوره بأنه إنما يقصد الى بلد أجنبىّ لا إلى وطن أهله وأجداده . وهذا الشعور الصادق قمين بأن يجعلنا نحترم إخلاصه الأدبى الذى لا مواربة فيه ولا تصنّع ، إذ أنه يطابق الحقيقة الوجدانية تمام المطابقة ويذكّرنا بقول الشاعر العبقرىّ ابن الرومى :

وحبّبَ أوطانَ الرجالِ اليهمو ... مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوْطانَهم ذكّرتْهمو ... عهودُ الصّبا فيها فحنّوا لذلكا
لقد ألِفَتْهُ النفسُ حتى كأنّهُ ... لها جَسَدٌ ، إنْ بانَ فُورِقَ هالكا !

ولا مشاحة ، انّ الأديب على فؤاد طلبة ذو مواهب كفيلة برفعة منزلته إذا ما توفّر على خدمة الأدب في المستقبل ، وإن كنا نشكّ في إمكان ذلك ببلادنا حيث لا يهمّ الأدبُ الأديبَ من العرى والجوع ، وانى ألاحظ بسرور إخلاصَ هذا المؤلف الناثر الناظم ، والاخلاصُ من أهمّ أركان الأدب ، وأعتقدُ أنه كفؤٌ في المستقبل للتأليف الأدبي الناضج ولنقل روائع آدابنا الى اللغة الانجليزية وفي مقدمتها نفائس الشعر العربي بين قديمه وحديثه .

obeikandl.com

النيل العظيم

أيا وافداً من « جبال القمر » (١) لقد جئت كالأمل المنتظر
ولم تشكُ من عقبات الطريق ولا من متاعب هذا السفر
وبعضُ الذي جزتَه كافه يبثُّ العناءَ ورُوحَ الضجر
فما حكمتَ إلا الوفيَّ الأبرَّ إذا ما حُرِمنا الوفيَّ الأبر
لعمرُ الأساطيرَ في وصفها رأتْ فيكَ ذوبَ شعاع القمر
وإنْ كانت الشمسُ فيك استقرتْ بهذا النضار وهذي الصُّوَر
تفيضُ علينا بفيض الحياة فكم فيكَ من سِرِّ مستتر
وكم فيكَ من نعمة تستقرُّ وتُلقى الينا فلا تُحتقَر
وكيفَ وأنتَ صميمُ الحياة ؟ وكيف وأنتَ رسولُ القدَر ؟
وفيك لإبليسَ روحُ المخاف وروحٌ لأذريسَ لمّا اغتفر
فأنبتَّ هذي الجنانَ اللواتي تهيمُ بها الروحُ قبلَ البصر
فلا بِدْعَ إنْ عبدتكَ القرونُ ولا غروَ إن ألّهتك البشر
ولا بِدْعَ إنْ قدّستكَ الفنونُ وناجاكَ كلُّ فؤادٍ شعر
وحنّتْ اليك عِراسُ الفحول حنينَ الخيالِ لنا والفِكَر
وغنّتْ لك المُوشِجُ البائساتُ وهذي الرمالُ وهذا الحجر
تعاوَوْا بحبّكَ يا ابنَ الحياة ويا أصلَها المثرى والبشر !

(١) اشارة الى الأساطير الشهيرة عن منابع النيل .

قصر الجزيرة

قِفْ بالجزيرة وارْقُبْ حالَ مَنْ بانوا ... فللديارِ كما للنّاسِ وجدانُ

زالوا وما زالَ باقٍ مِن مآثرهم ... وناطقٌ بالفخارِ الجمِّ مُزدانُ

بكى طويلاً وجارِي (النيل) يسعفُهُ ... بالدّمعِ ، وهو أمامَ النهرِ ظمآنُ

في وحشةِ الصّمتِ لا الأنوارُ ضاحكةٌ ... فيهِ ، ولا تُصغِيهُ الآذانَ ألحانُ

وللنّدى من دُموعِ الفجرِ مُدّكرٌ ... كانت تُرطِّبُ حُسناً للأُلى كانوا

وللهوى زفرةٌ أذوتْ بحرقتِها ... ما عاشَ فيه ، وللأحزانِ ألوانُ

وللعيونِ رثاءٌ مِنْ تفجُّرِها ... كأنّ رشّاشَها شِعرٌ وتأنانُ

فكم لحاظٍ رأتْ فيها محاسنَها ... وكم بجنباتِها قد صِيدَ غُزلانُ

وكم صُدورٍ تجلّتْ ثمّ بلبلها ... عَبَثُ الشبابِ كأنّ الحبَّ جنّانُ[1]

يا قصرُ لا كنتَ صدّاحَ الجنانِ اذا ... لم ترثكَ اليومَ أطيارٌ وأفنانُ

والحورُ في غربةٍ طالتْ وفي جزعٍ ... كما تيتّمَ بعدَ البينِ لهفانُ

مرّدْنَ يسألنَ باكي الحسنِ هل أثرٌ ... لحسنهنّ به يهواه انسانُ

فكمْ جرَرْنَ ذيولَ الوشيِ عاطرةً ... فزدْنَ إتقانَ فنٍّ فيه اتقانُ

وكم صطعن وكم داعبْنَ كلَّ سنى ... وكم رقصْنَ فاد الفُلكُ والبانُ

كمِثْنَ حُسنكَ حُسناً لا فناءَ له ... حتى فُجِعْتَ فهنّ بعدَ من هانوا

---

(١) الجنان : البستان

وأين (إيوانُ كسرى) منك في عجب ؟ وأين من جمع الايناس (غمدانُ) ؟
أو (قصرُ جعفر) في لذّاتِ مُبدِعه أو هزُّ (قرطبةٍ) في حكم من دانوا
لتنشدِ اليومَ أطيارٌ مُغنّيةٌ أشجى الرثاءِ الذي ما فيه بهتان
كم من أنينٍ لها ما كنتُ أحسبهُ صِدْقاً ، ولكنّ ذكرى الطير أشجان
القلبُ يخفقُ تحناناً لسجعها والعينُ يجذبها مِنْ فيكَ تحنان
وبالسنيِّ من الحصباءِ مِنْ قُبَلٍ ما لا يزالُ به للحُسْنِ إحسان
فكمْ مشتْ غانياتٌ فوقَ ساحتها مشيَ العروس لها الأقمارُ خلاّن
فذهّبتْ كلَّ ما مستْ اذا خطرت وفضّضتْ ما رآها وهو جذلان
أين الليالي التي جادتْ بنفحتها على الزمان الذي جادَتهُ أزمان
وكلُّ نافذةٍ درّيّةٌ سطعتْ وكلُّ مقصورةٍ للخُلد بستان
وكلُّ ما مرَّ فيها الصَّفوُ أجمعه وكلَّ ما غاب أتراحٌ وأحزان ؟
أين الجمالُ الذي دانتْ لعزته جلالةُ الملك واسترضتهُ تيجان ؟
أين الطبيعة لا تألوك منقبةً وأنت مِنْ حسنها المغريك فتان ؟
ما بالها عبستْ مِنْ بعد بهجتها كأنها في سقامٍ ما له آنُ ؟ (١)
فلا النسيم رقيقٌ في مداعبةٍ ولا تثنّتْ براح الزّهرِ أغصان
ولا الشروقُ كريمٌ من جواهرهِ ولا الغروبُ له تِبْرٌ ومرجان

---

(١) الآن : الوقت الحدود

ولا (القطم) عبرَ (النيل) منتعشٌ يستجمعُ الأنسَ أضواءً ويزدانُ

* * *

يا قصرُ بُحْ بالذى حجبتَ من سيرٍ فانَّ حالكَ للتاريخ عنوان
قد عِشتَ تاجاً لمجدٍ كلهُ عبرٌ ولم يزل ذكرهُ دينٌ وإيمان
ما جئتُ أندبُ فيك اللهوَ مندثراً لكنَّ دمعى على العلياء هتّان
مَظاهرٌ لجلالٍ ساسَ صاحبهُ مُلكاً ، وكان له بأسٌ وسلطان
لهفى على مجدِ (اسماعيل) مزدحماً منه على (النيل) أعلامٌ وأعوان
بنى بناءً تعالى فى جلالتهِ وقد يُهَدُّ من الاسرافِ نشوان
فللملوك حُسّادٌ على عِظمٍ مثل الأنام ، وللحسّادِ عدوان
جازوا تفانيه فى العمران عن شغفٍ كما يُثيبُ على الاحسان نكران

* * *

واليومَ يا قصرُ مهما بنتَ مكتئباً فانَّ روحكَ للأرواح ريحان
تهشُّ بعد انثناسٍ عاشقاً أدبى كما تهشُّ الى الفنّان فنّان
وفى ظلالك لى حزنٌ يساورنى وفى سكونك تفكيرٌ وكتمان
أنت الأحقُّ بدمعى من (طليطلةٍ) فانَّ غايةَ دمعِ المرء أوطان

* * *

ويا شبابَ بنى (مصر) ونعمتها عشتمْ وعاشت بكمْ (مصر) وإخوان

لى وقفة نائبا عنكم على طلل ... حبّا لجيل له فى شأننا شانُ
فانْ ذكرتم حديث الذكرى مآثرهُ ... فابنوا من البرّ ما يخشاه سلوان
له حقوقٌ علينا فى مفاخرنا ... فلن يُضالى بها فى الجهد عرفان
وما الحياةُ بتذكار بلا عمل ... إنّ الحياة تجاربٌ وبنيان !

نغمة من الشعر

دلالُ الغوانى لقلبى أسرْ ... ووجدى وذلى دفينُ الأسرْ
فكيف الرجاءُ
وفيم الشفاءُ
وما لى دواءُ
وأين المفرّ ؟
عيونٌ سبتنى ولحظٌ سحرْ ... وحسنٌ دعانى لقتلى وفرّ
فهذا الكمىُّ
وذاكَ القوىُّ
ودمعى السخىُّ
ولا مَن شكرْ

أخافُ الجمالَ وأخشى الخفرْ وأهوى ضعيفاً فسا ما اقتدرْ

عزيزَ المنالِ

جسيمَ الملالِ

ريبَ الجمالِ

كثيرَ الخطرْ !

دعوني فحسبي الجفا والسهرْ وخلّوا حبيبي أثيمَ النظرْ

فروحي فداهُ

ومالي سناهُ

اذا ما أرادْ

فصدري المقرّ !

كفاني ولوعٌ طفا واستعرْ وأنسٌ تولّى وصفوٌ عبرْ

فبسمي يردْ

وعقلي يودْ

ورحبي يصدْ

وهذا انتصرْ

دعوني — فكيف الوفاء اندثرْ؟ لصوتِ الحبيب بسمعي أثرْ

وماذا عليّ

ولطفي لديّ

وفخرى إلىّ
سَلا أم ذكرْ ؟
أمالكةَ القلبِ أنّى يقرّ سناك فانى مطيعٌ مُقِرّ
فرقّى لحالى
وحَبِّى خيالى
فمن ذا مِثالى
حميدُ السِّيَرْ ؟
لأنتِ النسيمُ على الزّهرِ مَرّ وأنتِ النعيمُ اختفى ما ظهرْ
فلا تجهلينى
وحقّ العيونِ
كمن فى جنونِ
صبا للقمرْ !

دليل القلب

رحلَ الهوى فرحلتُ فى أثرِ الهوى والحسنُ قاسٍ والغرامُ قديرُ
وحَسرتُ عينى من بهىّ ضيائها ودليلُ قلبى نفحةٌ وعبيرُ
فرأيتهُ عرفَ السبيلَ كأنما بخفىّ أسرارِ الجمالِ خبيرُ !

مملكة الحسن

(وصف جغرافى)

أفديكِ بأطيبِ نفسى وأفيكِ بأعذبِ حِسّى
فلأنتِ اليومُ وأمسى وغدى وسلافةُ كأسى

* * *

وأنالُ الحظَّ بوصفى مَرْآكِ الشَّهْدَ وقَطْفى
فدعِى وحياتِكِ وَصْفى يُهْدِى لى الرُّوحَ ويَشْفى

* * *

وَصْفِى لِسناكِ الحالى وَصْفُ اللهِ المتعالى !
وغرامى فيكِ وحالى صلواتُ العبدِ التَّالى !

* * *

وأرى بمحاسنِ جسمِكْ ما شاءَ الصانعُ باسمِكْ
جَمَعَ الابداعَ برسمِكْ وجَنانَ الخُلْدِ بثغرِكْ !

* * *

مِنْ « نهرِ » الحبِّ الصَّافى و « عمارِ » الأُنسِ الكافى
وشُعاعِ الشَّمْسِ الضَّافى أهفـــــو لنعيمى الوافى

* * *

« مملكة » الحسن الغالى و « طبيعة » كل جمال
« بوهار » بين جبال و « رياض » دون مثال

* * *

وجلال ليس يحد و « تفنن » كم « يعد »
« الجزر » الطاو و « مدة » فى « بحر » منه يود

* * *

وأفاريد وأغـــانى « لغة » السحر الفتان
ولسان « الفتح » البانى مملكة الحب الحانى

* * *

فرحت بها بنـــان وسكرت بأكرم دن
ونسيت البؤس وأنى (١) يا صخر سبيلك عنى !

كروان النيل

(أهديت الى كروان النيل فى عصره الشيخ سلامة حجازى)

يا صادحا بالحب لم يسأم ولم يتململ
الليل يرتشف الجمال من الغناء المنزل

(١) الان : الانين .

أصغتْ اليك معالمُ الحسنِ المؤمَّلِ في الوجودْ
وكأنَّ ما فقدتْه من حُسنٍ بما تُسدي يعودْ
إني رثيتُكَ أيها الشَّادي بألوانِ الغِناءْ
إني عليتُكَ أيها المُسدي لألوانِ العَزاءْ
صوتٌ مِنَ النهرِ العظيمِ ومنْ عُطورِ زُهورِهِ
ومِنَ (الطبيعةِ) حوله ومِنَ اثتلاقِ حُبورِهِ
وكأنما القمرُ المفضَّضُ مِن جموعِ غِنائكا
صُبَّتْ على متنِ الأثيرِ ولمْ تغِبْ نداكا !
يا مُعجِزاً باللحنِ تُرسلُه ضياءً أو رُسومْ
ويُعيدُه ناءُ الزمانِ بما ترتِّلُهُ النُّجومْ
غنَّيتني باللحنِ والأحلامِ في رُوحِ الصلاةْ
قُوَّتُ العواطفِ والمشاعرِ ، فهو مِن هبةِ الإلهْ
سكنتْ دمي وجرتْ به وتملكتْ أنفاسي
فشعرتُ أني بين هذا الناسِ فوقَ الناسِ !
(كروانَ وادي النيلِ) إنَّ (النيلَ) يخفقُ بالحنينْ
سكنتْه أجيالُ الزمانِ وردَّدتْ مثلي الأنينْ
فأطِلْ نشيدَكَ للحياةِ نرَ الحياةَ هي الجمالْ
ونرَ الهمومَ هي السعادةُ ، والمحالَ سوى المحالْ !

هرة ومرآتها

(وصف هرة بيضاء تشرب من فسقية في متنزه عام)

مشتْ مثلَ مشيِ المُنى والمنونْ ... على تُؤدةٍ في أدقِّ السُّكونْ
وصارتْ على حذرِ العاذلينَ ... كأنَّ لها خشيةَ العاشقينْ
على سندسيٍّ نضيرِ البهاءِ ... على أرجوانيِّ زهرٍ ضنينْ
يحرِّمُ مسَّهُ له مِن أناسٍ ... ولكنها تقهرُ الحارسينْ
وتخطرُ في مثلِ ثوبِ العروسِ (١) ... دلالاً وتُطرِقُ للناظرينْ
فلمَّا تجلَّتْ لفسقيةٍ ... تشوقُ ومَشرَبِ ماءٍ معينْ
تبسَّمَتِ العينُ مِنْ قفزها ... فشعَّتْ بأنسٍ ونُورٍ ثمينْ
وقبَّلتِ الماءَ في شُربها ... فقبَّلها بالخيالِ الأمينْ
لسانانِ قد رشفا حُلوَهُ ... كصبَّينِ في رشفةٍ من حنينْ
فللهِ هذا الجمالُ الغريبُ ... تمثَّلهُ هِرَّةٌ للعيونْ
ونشهدُهُ بين فرطِ السكونِ ... وبين التأمُّلِ كالمتقينْ
وكم في الطبيعةِ من حادثاتٍ ... تشوقُ وتلهمنا خيرَ دينْ
ولكنَّ غفلتَنا حسرةٌ ... لنا فنبيعُ الهدى بالظنونْ
ونحرم أنفسَنا صفوَ أنسٍ ... وما الصفوُ الاَّ الجمالُ المبينْ
وسيانِ مرآهُ بين الجمادِ ... أو الناسِ أو حيوانٍ مَهينْ
فللهُ الجمالِ له صولةٌ ... تسودُ على دولةِ العالمينْ !

---

(١) اشارة الى لونها الابيض .

الفاكهة المحرّمة

عَبَقُ الفواكهِ كالأزاهرِ حُبُّهُ ... بدمي ، ومنهُ نشقتُ حُلوَ شعوري

ولديكِ أنتِ من العبيرِ وما احتوتْ ... شفتاكِ للوجدانِ عطرُ الحورِ

وأراكِ فاكهتي ولكنْ حُرِّمَتْ ... والعينُ لم تُخلَقْ لغيرِ النورِ

كم مِنْ غوانٍ عطرهُنَّ محبَّبٌ ... لسواىَ ليس عبيرُهُنَّ سُروري

أمَّا عبيرُكِ أنتِ أنتِ فنغمتي ... يا مَوئلَ الأحلامِ للمهجورِ !

عيد الحب

اليومُ ميلادُ الغرامِ فجدِّدي ... عهداً كما وَعَتِ الليالي الأولى

ما زلتِ طفلتَهُ ولستِ بطفلةٍ ... فلقد عرفتِ ثوابَهُ المأمولا

ولقد بَجلتِ به كأنّي لم أزلْ ... بالحبِّ أو بِغِنَى الحياةِ جهولا

خمسٌ مِنَ السنواتِ عُمْرُ صبابتي ... أيظلُّ يحسبُ في هواكِ هزيلا ؟

عُمْرٌ أحقُّ به جمالُكِ دائماً ... في قُربهِ ، لا أن يَغيبَ مَلولا

أيقظتِ قلبي في الربيعِ ولم يَزلْ ... كطيوفهِ وشُعاعهِ محمولا

إنْ أنسَ لنْ أنسَى شَذى نُوّارهِ ... وأنا أراقبُ وجنتيكِ خجولا

ونوافحُ النارنجِ في عَبَقِ الهوى ... نُفشي هوًى كمحبتي مجهولا

أعرفته حتى ابتسمت لبسمتي ... وأريتني وجه الربيع جميلا

وخلقت من يومي السعيد عبادة ... ما زلت منتوفاً بها مشغولا ؟

صلوات حبي في السنين مشاعة ... لا تنتهي إذ لا تبل غليلا

تمضي بها الأيام ثم أعيدها ... فوق الأشعة كالندى مطلولا

اليوم ذكراها فما أعددته ... لغرامنا متسامياً موصولا ؟

فلقد شببت مع الملاحة مثلما ... غرس الربيع يشب بعد ظليلا

وأنا الفتى العاني بمعدك حرقاً ... أملي ، فبات لي الرجاء فتولا

وخلقت من شعري خيال محبتي ... ورعيته بمشاعري مشمولا

واتخذت عزلتي الحبيبة كعبة ... وجعلت قرباني أمني مبذولا

لهفي ! أعيد الحب عيد مناحة ... حتى كأن هواي بات قتيلا ؟ !

الوداع

انتهب يا شعاع نبض قلبي الحزين
حان وقت الوداع ليته لا يحين !
انتهب يا شعاع أنا ذاك القريب
إن روحي متاع في مداك العجيب !
أنت قوتي ونفسي أنت جسمي ولبي

فاختطف مِنّى حِسّى ... وانتهبْ نبضَ قلبي

وتَوَلَ العَـــزاءْ ... هل عَزاءٌ سِواكْ ؟

فيكَ لَمْحُ الرَّجاءْ ... فيكَ وَحْيُ الفِكاكْ

كم بقلبي جِراحْ ... ما لها مِنْ أُساهْ

ما لمثلي النُّوَاحْ ... لو نُوَاحٌ شَفاهْ

أنا شيخُ الغَرامْ ... إنْ أكنْ طِفْلَ مُعْمْرى

قد عرفتُ الظَّلامْ ... مَهْدَ حُبّي وشِعْرى

انتهبْ ثمَّ دَعْنِي ... في دُجَى الذكرياتْ

هِيَ مَنْفَى لِفَنّي ... وهي مَأوى الحياةْ !

obeikandl.com

فهرس

صفحة

محتوى المنثور

قانون الطبيعة	٤
مسرح الحياة	٥
ماهية الشعر والأدب والفلسفة	٦
حياة اللغة	١٠
حديث الفنّ	١٤
طبقة الشعراء	١٥
رعاية الشعراء	١٧
التربية الوطنية	٢٠
فظائع الحروب	٢١
من قلم مصري	٢٣

محتوى المنظوم

النيل العظيم	٢٨
قصر الجزيرة	٢٩
نغمة من الشعر	٣٢
دليل القلب	٣٤
مملكة الحسن	٣٥
كروان النيل	٣٦
هرّة ومرآتها	٣٨
الفاكهة المحرّمة	٣٩
عيد الحبّ	٣٩
الوداع	٤٠

obeikandl.com